المحاضرة الرابعة: العلاقة التاريخية بين الدين والفلسفة.

العلاقة التاريخية بين الدين و الفلسفة: ارتبطت الفلسفة بالدين عبر العصور و ذلك كالتالي:

أ-في العصر اليوناني القديم: تعتبر الأساطير الدينية تمهيدا لنشأة التفكير الفلسفي، فالديانات البابلية و المصرية القديمة و الفارسية كانت لها أراء في تفسير الكون و الإنسان و العلاقة القائمة بينهما، مثل أسطورة أو قصيدة الخلق البابلية التي عن كيفية نشأة الكون، و تعتقد أن نشأة الكون من الماء، حيث كان هناك خليط من المياه العذبة (أبسو) و مياه البحر (تيامة) و من اتحادهما نشأت الألهة و جميع الكائنات، و كذا الديانة اليونانية القديمة، حيث ظهرت مؤشرات العلاقة بين الإنسان والعالم في قصائد هوميروس، في الالياذة و الأوديسا، و هزيود في مؤلفيه "أنساب الآلهة " و "الأعمال و الأيام" حيث تحدث في كتابه الثاني عن العدالة بين الآلهة والبشر، و هوميروس يصور الألهة تعيش فوق جبل ألمب، يؤلفون حكومة ملكية، و على رأسها كبير الألهة زيوس في صورة بشرية تنتابهم الانفعالات و الأهواء، يتزوجون و يتناسلون، و يأكلون و يحاربون و يسالمون، يحبون و يكرهون،**(1)** لكن الفلاسفة اليونان سرعان ما بينوا أن تلك الأساطير و الديانات مجرد خيالات بشرية اصطنعها الناس على صورهم و مثالهم لوصف الآلهة، حيث رأى "أكسانوفان" أن الناس هم من استحدثوا الآلهة و خلعوا عليها عواطفهم و لغتهم، فلو كان في وسع الثيران أن ترسم لنا صورة لألهتها لصورتها على مثالها، لذلك صور أكسانوفان الإله بوصفه عقلا خالصا.**(2)**

ب-في العصور الوسطى: ساد التفكير الديني في هذا العصر و كانت الفكرة السائدة تتمثل في عدم إمكان العقل وحده أن يصل إلى الحقائق كلها، إضافة إلى أن هناك حقائق لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي، لذلك كانت الحقائق الدينية نقطة البداية التي يبدأ منها فلاسفة هذا العصر مستعملين العقل في محاولة البرهنة و التدليل على هذه الحقائق، و هؤلاء الفلاسفة رأوا بأن المرء لا يقتصر على الإيمان الساذج الذي لا أثر فيه للعلم أو العقل، بل على الإيمان المعزز بالبراهين العقلية وفق مبدأ "أؤمن لأتعقل" لأن باستطاعة العقل أن يبرهن على صحة أعقد المسائل الدينية و أكثرها غموضا على حد رأي القديس "أنسلم"، بينما توما الاكويني

1-حسن حنفي " فلسفة الدين في الفكر الغربي" ص 12.
2-إحسان علي الحيدري، المرجع نفسه، ص119.

يذهب إلى القول أن العقل و الوحي و سيلتان من وسائل المعرفة، صدرا عن أصل واحد، فالله هو الذي أودع العقل في الإنسان و هو الذي أعلن للناس حقائق الوحي، و لا يمكن أن يكون الله مصدر لنورين متناقضين، . وهو نفس رأي "ابن رشد"، و من ثمة يستوي كل من العقل و الإيمان في الحقيقة، غير أن الإنسان لا يستطيع أن يصل بالعقل و حده إلى كل الحقائق الدينية، و من هنا لابد أن يعزز العقل بالوحي، ليتمكن الإنسان من إدراك الأسرار الفائقة للعقل، فالعقل والنقل ليسا متناقضين بل يمثلان خطوتين متتاليتين تكمل إحداهما الأخرى.**(1)** مع العلم أن هناك تيار رفض الفلسفة اليونانية و اعتبرها بدعة و ثنية و تمسك بالعقيدة المسيحية، لأنها تمثل الحقائق الإلهية و يمثله "تاتيان".

ج-في العصر الحديث: بدأت الفلسفة في الاستقلال عن اللاهوت و عادت إلى الاعتزاز بالعقل، فقد كانت فلسفة ديكارت القائمة على الشك بمثابة مفتاح للدخول إلى هذا العصر، بعدما صرح بأنه لا يقبل شيء على انه حق ما لم يتبين بوضوح على انه كذلك، ثم جاء "كانط" و فصل الفلسفة عن الدين، و رأى أن المحاولات التي تبذل لإقحام العقل في دائرة اللاهوت محاولات عقيمة، و حاول أن يثبت استحالة البرهنة على وجود الله بالأدلة العقلية، ذلك لأن هذه القضية تخرج عن حدود المعرفة الإنسانية، و تدخل في مسلمات العقل العملي، أي الأخلاق، لهذا يرى أن الأخلاق تنتهي إلى التسليم بثلاث مسلمات ميتافيزيقية هي : وجود الله القادر و الخير، خلود النفس و الحرية، فوجود الله مسلمة أخلاقية ضرورية تستلزمها طبيعة الأخلاق.

و يمكن أن نستنتج العلاقة التاريخية بين الدين والفلسفة كالتالي: ولادة التفكير الفلسفي في رحم الأساطير الدينية و الأديان الشعبية- ثم بروز حركة نقدية بشأن الدين مع بداية بزوغ فجر الفلسفة اليونانية. -وجود حركة جدلية تاريخية بين الدين والفلسفة ظهرت أول الأمر على شكل اتصال و اندماج، ثم بدأت محاولات الانفصال نتيجة لتوجيه سهام النقد إلى الدين الشعبي، ثم عاد الاتصال و الانفصال على شكل متفاوت وفق المسار الزمني ووجود الفلاسفة إلى أن وصل الأمر بينهما إلى الاتصال في العصر الوسيط، ثم القطيعة مع بداية العصر الحديث. **(2)**

1-احسان علي الحيدري، المرجع نفسه، ص120 -

2-إحسان علي الحيدري، المرجع نفسه، 120-121.